وآكل من السوس وقالوا في البعوضة اضعف من بعوضة واعز من مخ البعوض ولقد ضربت
الامثال في الانجيل المحقرة كالزؤان والنخالة وحبة الخردل والحصاة والارضة
والدود والزنابير والتمثيل بهذه الاشياء وباحقر منها لا تخفى استقامته
وصحته على من به ادنى مسكة ولكن ديدن المحجوج المبهوت الذي لا يبقى له متمسك
بدليل ولا متشبث بامارة ولا اقناع ان يرمى لفرط الحيرة والعجز عن اعمال
الحيلة بدفع الواضح وانكار المستقيم والتعويل على المكابرة والمغالطة اذا
لم يجد سوى ذلك معولا . وعن الحسن وقتادة لما ذكر الله الذباب والعنكبوت
في كتابه وضرب للمشركين به مثلا ضحكت اليهود وقالوا ما يشبه هذا
كلام الله فانزل الله تعالى هذه الآية . والحياء تغير وانكسار يعتري الانسان
من تخوف ما يعاب به ويذم واشتقاقه من الحيوة يقال حيي الرجل كما يقال
نسي وخشي وشظي اذا اعتلت هذه الاعضاء جعل الحيي لما يعتريه من
الانكسار والتغير منتكس القوة منتقص الحياة كما قالوا فلان هلك
حياء من كذا ومات حياء ورايت الهلاك في وجهه من شدة الحياء وجمد
في مكانه خجلا فان قلت كيف جاز وصف القديم سبحانه به ولا يجوز
عليه التغير والخوف والذم وذلك في حديث سلمان قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع العبد اليه يديه ان يردهما
صفرا حتى يضع فيهما خيرا قلت هو جار على سبيل التمثيل مثل
تركه تخييب العبد وانه لا يرد يديه صفرا من عطائه لكرمه بترك
من يترك رد المحتاج اليه حياء منه وكذلك معنى قوله ان الله لا يستحيي اي
لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي ان يمثل بها لحقارتها ويجوز
ان تقع هذه العبارة في كلام الكفرة فقالوا اما يستحيي رب محمد ان يضرب

مثلا ما بالذباب والعنكبوت فجاءت على سبيل المقابلة واطباق الجواب على السؤال وهو فن من كلامهم بديع وطراز عجيب
منه قول ابي تمام من مبلغ افناء يعرب كلها اني بنيت الجار قبل المنزل وشهد رجل عند شريح فقال انك لسبط
الشهادة فقال انها لم تجعد عني فقال لله بلادك وقبل شهادته فالذي سوغ بناء الجار وتجعيد الشهادة هو مراعاة
المشاكلة ولولا بناء الدار لم يصح بناء الجار وسبوطة الشهادة لامتنع تجعيدها ولله در امر التنزيل واحاطته
بفنون البلاغة وشعبها لا تكاد تستغرب منها فنا الا عثرت عليه فيه على اقوم مناهجه واسد مدارجه وقد استعير
الحياء فيما لا يصح فيه اذا ما استحسن الماء يعرض نفسه كرعن بسبت في اناء من الورد وقرا ابن كثير
في رواية شبل يستحي بياء واحدة وفيه لغتان التعدي بالجار والتعدي بنفسه يقال استحييت منه واستحييته وهما
محتملان ههنا وضرب المثل اعتماده وصنعه من ضرب اللبن وضرب الخاتم وفي الحديث اضطرب رسول الله
خاتما من ذهب وما هذه ابهامية وهي التي اذا اقترنت باسم نكرة ابهمته ابهاما وزادته شياعا وعموما
كقولك اعطني كتابا ما تريد اي كتاب كان او صلة للتاكيد كالتي في قوله فبما نقضهم ميثاقهم كانه قيل لا يستحيي
ان يضرب مثلا حقا او البتة هذا اذا انتصبت بعوضة فان رفعتها فهي موصولة صلتها الجملة لان التقدير
هو بعوضة فحذف صدر الجملة كما حذف في تماما على الذي احسن ووجه آخر حسن جميل وهو ان يكون التي فيها
معنى الاستفهام لما استنكفوا من تمثيل الله لاصنامهم بالمحقرات قال ان الله لا يستحيي ان يضرب للانداد
ما شاء من الاشياء المحقرة مثلا بله البعوضة فما فوقها كما يقال فلان لا يبالي بما وهب ما دينار
ودينارا والمعنى ان الله ان يتمثل للانداد وحقارة شانها بما لا شيء اصغر منه واقل كما لو تمثل
بالجزء الذي لا يتجزى وبما لا يدركه لتناهيه في صغره الا هو وحده بلفظة او بالمعدوم كما يقول العرب
فلان اقل من لا شيء في العدد ولقد الم به قوله تعالى ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهذه القراءة
تعزى الى رؤبة بن العجاج وهو امضغ العرب للشيح والقيصوم المشهود له بالفصاحة وكانوا
يشبهون الحسن وما اظنه ذهب في هذه القراءة الا الى هذا الوجه وهو المطابق لفصاحته وانتصب بعوضة
بانها عطف بيان لمثلا او مفعول ليضرب ومثلا حال عن النكرة مقدمة عليه وانتصبا مفعولين لجري ضرب مجرى جعل
واشتقاق البعوض من البعض وهو القطع مصدر كالبضع والعضب يقال بعضه البعوض وانشد لنعم البيت
بيت ابي دينار اذا ما خاف بعض القوم بعضا ومنه بعض الشيء لانه قطعة منه والبعوض في اصله صفة على فعول
كالقطوع فغلبت وكذلك الخموش فما فوقها فيه معنيان احدهما فما تجاوزها وزاد عليها في المعنى الذي ضرب فيه مثلا
وهو القلة والحقارة نحو قولك لمن يقول فلان اسفل الناس وانذلهم هو فوق ذلك تريد هو ابلغ واعرق فيما وصف به من

Copyright © King Saud University